تفسير

سورة الضحى[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ .

قد تقدَّم تفسيره عند قوله : ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس :١] ، وقوله : ﴿وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات :٢٩] ، والوجه هاهنا أنه النهار كله[٢] ، لقوله (في المقابلة)[٣] :

٢. ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ .

---

(١) مكية بلا خلاف في ذلك . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٢٢٩ ، وبحر العلوم ٣/ ٤٨٦ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٠٥ب .
وانظر أيضاً : البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ١٩٣ ، والإتقان للسيوطي ١/ ٢٥-٢٨ .

(٢) قال بذلك الفرَّاء في معاني القرآن ٣/ ٢٧٣ ، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٢٩ ، والزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٩ ، وما ذكره الإمام الواحدي هو من قول الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ١٠٦ب .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

قال أبو عبيدة[١] ، والمُبرِّد[٢] ، و(الزَّجَّاج[٣])[٤] : «إذا سَكَن يقال : ليلة ساجية ، وليلة ساكنة ، وأنشدوا جميعاً :

يا حَبَّذا القَمْراءُ واللَّيْلُ السَّاجي وَطُرُقٌ مِثْلُ مُلاءِ النسَاجي»[٥][٦] .

ونحو هذا قال الفرَّاء : «سجا : أظلم وركد في طوله»[٧] .

(وروى ثعلب عن)[٨] ابن الأعرابي : «سجا : سكن ، وسجا امتد ظلامه ، وسجا أظلم»[٩] .

وقال الأصمعي : «سُجُوُّ الليل تغطيته النهار ، مثل[١٠] ما يُسَجَّى الرجل بالثوب»[١١] .

---

(١) ورد في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٢ بنصه .

(٢) الكامل ١/ ٣٧١ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٩ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) في (أ) : (الساجي) .

(٦) انتهى الشطر الأول بـ : (السَّاج) ، والثاني بـ :(النَّسَّاج) في الرواية (ب) . هكذا وردت عند أبي عبيدة ، والمُبرِّد ، والزَّجَّاج .
وورد البيت منسوباً إلى الحارث في لسان العرب (سجا) ١٤/ ٣٧١ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٣ ، وورد غير منسوب في تهذيب اللغة (سجا) ١١/ ١٤٠ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢٣٠ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٠٦ب ، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٢ ، وزاد المسير ٨/ ٢٦٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩١ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٥ ، وأضواء البيان ٩/ ٢٧٤ .

(٧) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٧٣ بنصه .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) ورد في تهذيب اللغة (سجا) ١١/ ١٤٠ بنصه .

(١٠) في (ع) : (ومثل) .

(١١) المرجع السابق ، وانظر : لسان العرب (سجا) ١٤/ ٣٧١ بنصه .

قال ابن الأعرابي : «يقال سَجا يَسْجو[١] ، وسَجَّى يُسَجِّى ، وأسْجى يُسجْى كله إذا غطى شيئاً»[٢] .

وقال الليث : «السجو : السكون ، ويقال : ليلةٌ سَاجِيَةٌ ، وعين سَاجِيَةٌ ، وسجا البحر سَكَنتْ أمواجه»[٣] .

هذا كلام أهل اللغة في تفسير (سجا) ، وقد حصل له ثلاثة معان : سكن ، وأظلم ، وغطى .

وأقوال المفسرين غير خارجة من هذه المعاني .

قال عطاء عن ابن عباس : «إذا غطى بالظلمة»[٤] ، وهو قول الحسن : «إذا ألبس الناس ظلامه»[٥] ، وهو قول سعيد بن جبير : «إذا أقبل فغطى كل

(١) (يسجوا) هكذا وردت في كلتا النسختين .

(٢) العبارة كما في تهذيب اللغة ١١/ ١٤٠ : (إذا غطى شيئاً ما) . انظر : لسان العرب (سجا) ١٤/ ٣٧١ .

(٣) تهذيب اللغة ١١/ ١٤٠ .

(٤) ورد معنى قوله في النكت والعيون ٦/ ٢٩١ ، وورد من غير ذكر طريق عطاء في تفسير الرازي ٣١/ ٢٠٨ ، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٩٢ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٦ .

(٥) ورد نحوه في تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٧٩ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢٢٩ ، وورد معنى قوله في الكشف والبيان ١٣/ ١٠٦أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٨ ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢٠٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٢ ، والدر المنثور ٨/ ٥٤١ ، وفتح القدير ٥/ ٤٥٧ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤٢٥ .

شيء»[(١)] ، ونحو هذا قال مقاتل[(٢)] ، (والضحاك[(٣)] ، وهو رواية عطية عن ابن عباس[(٤)])[(٥)] .

وقال قتادة : «إذا سكن بالنائمين»[(٦)] ، وهذا قول السُّدِّي[(٧)] ، وابن زيد[(٨)] (ومجاهد[(٩)])[(١٠)] .

ولسكونه معنيان :

أحدهما : سكون الناس ، فنسب إليه ، كما كان فيه ، كما يقال : ليل نائم ، ونهار صائم[(١١)] ، ومثله كثير[(١٢)] .

---

(١) ورد مختصراً في النكت والعيون ٦/ ٢٩١ ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢٠٨ ، وزاد المسير ٨/ ٢٦٧ مختصراً ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٢ بمعناه ، والدر المنثور ٨/ ٥٤١ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وفتح القدير ٥/ ٤٥٧ بمعناه ، وتفسير سعيد بن جبير ٣٧٧ .

(٢) تفسير مقاتل ٢٤٣أ .

(٣) الكشف والبيان ١٣/ ١٠٦ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٢ .

(٤) الكشف والبيان ١٣/ ١٠٦ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٨ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) ورد معنى قوله في تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٧٩ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢٣٠ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٨ ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢٠٨ ، وفتح القدير ٥/ ٤٥٧ .

(٧) التفسير الكبير ٣١/ ٢٠٨ .

(٨) المرجع السابق ، وانظر أيضاً : جامع البيان ٣٠/ ٢٣٠ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٠٦ب ، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٢ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٨ ، وفتح القدير ١٥/ ٤٥٧ .

(٩) الكشف والبيان ١٣/ ١٠٦ب ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢٠٨ ، وورد بمعناه في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٨ ، وفتح القدير ٥/ ٤٥٧ .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١١) في (أ) : (هائم) .

(١٢) نحو : بحر ساجٍ ، وسر كاتم ، وليله قائم ، وكما في قوله تعالى : ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ .

والثاني : سكونه : استقرار ظلامه ، واستواؤه ، فلا يزداد بعد ذلك[١][٢] .

يدل على هذا أن ابن زيد قال : «استقر ظلامه»[٣] ، وأن مجاهداً قال : «استوى»[٤] .

وقال الكلبي : ﴿إِذَا سَجَىٰ﴾ : «اسودَّ ، وأظلم»[٥] .

فهذه ثلاثة أقوال عند المفسرين على وفق[٦] ما حكينا عن أهل اللغة ، وهذا القسم جوابه قوله :

---

(١) هذا المعنى هو الذي رجَّحه الطبري في جامع البيان ٣٠/ ٢٣٠ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٣ . قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٢ : «وهذا الأشهر في اللغة» ، وقال الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٥٧ : «وهو الذي عليه جمهور المفسرين وأهل اللغة» .

(٢) ورد في التفسير الكبير ٣١/ ٢٠٨ نقلاً عن الواحدي بنصه .

(٣) الكشف والبيان ١٣/ ١٠٦أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٨ .

(٤) ورد في تفسير الإمام مجاهد ٧٣٥ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢٢٩ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٧ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٢ ، والدر المنثور ٨/ ٥٤١ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وانظر : فتح القدير ٥/ ٤٥٧ .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٦) بياض في (ع) .

٣. ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ . قال المفسرون[١] : «أبطأ جبريل عن النبي ﷺ فقال المشركون : قد قلاه[٢] الله وودعه»[٣] ، فأنزل الله هذا الآية .

وقال السُّدِّي : «أبطأ عليه أربعين ليلة ، فشكا ذلك إلى خديجة ، فقالت : لعل ربك نسيك أو قلاك ، فأنزل الله هذه الآية»[٤] .

---

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٦٦ : «اتفق المفسرون على أن هذه السورة نزلت بعد انقطاع الوحي مدة» . وقال بذلك سفيان البجلي ، ومعمر ، وسفيان بن عيينة ، وجندب بن عبدالله البجلي ، وقتادة ، والضحاك ، وابن عباس ، ومقاتل . انظر : تفسير مقاتل ٢٤٣أ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٧٩ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢٣٠ ، ٢٣١ ، والدر المنثور ٨/ ٥٤٠ ، وتفسير سفيان بن عيينة ٣٤٦ ، تحقيق المحايري . والرواية الصحيحة السند هي ما أخرجه البخاري عن جندب : قال الأسود بن قيس ، قال : سمعت جندب بن سفيان ـ رضي الله عنه ـ قال : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً ، فجاءت امرأة فقالت : يا محمد ، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً ! فأنزل الله عز وجل : ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ . انظر : صحيح البخاري في كتاب التفسير ، باب (١-٢) ٣/ ٣٢٦ ح ٤٩٥٠-٤٩٥١ ، ٣/ ٣٣٧ ح ٤٩٨٣ ، وكتاب فضائل القرآن ، باب (١) ١/ ٣٥٠-٣٥١ ح ١١٢٤-١١٢٥ ، وكتاب التهجد ، باب (٤) . وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، باب (٣٩) ٣/ ١٤٢١ ح ١١٤ ، والحميدي ٢/ ٣٤٢ ح ٧٧٧ ، والطيالسي ٤/ ١٢٦ ، والإمام أحمد ٤/ ٣١٢ ، ٣١٣ ، والطبراني ٢/ ١٧٣ ، رقم ١٧٠٩-١٧١٢ ، والبيهقي في الدلائل ٧/ ٥٨ . وانظر : أسباب النزول ٣٩٣ ، تحقيق أيمن صالح ، ولباب النقول ٢٣٠ ، والصحيح المسند ٢٣٣ .

(٢) قلاه قلًى : أبغض . قال ابن السكيت في إصلاح المنطق ١٣٩ : «ولا يكون في البغض إلّا قليت» ، وانظر : تاج العروس (قلا) ١٠/ ٣٠٢ .

(٣) ودع وَدَعْته ، أَدَعُه وَدعاً : تركته . قال ابن فارس في مقاييس اللغة (ودع) ٦/ ٩٦ : «وَدَعَ : أصل واحد يدل على الترك والتخلية ، وَدَعَه تركه ، ومنه دَع» ، وانظر : الصحاح (ودع) ٣/ ١٢٩٥ .

(٤) ورد في بحر العلوم ٣/ ٤٨٦ ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢١٠ ، وورد بمعنى هذه الرواية من طريقين : طريق عبد بن شداد ، وطريق هشام بن عروة عن أبيه . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٢٣١ . قال ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٧١١ : «وهذان طريقان مرسلان ، ورواتهما ثقات» ، وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤٤/ ٥٥٨ : «إنه حديث مرسل من هذين الوجهين ، ولعل ذكر خديجة ليس محفوظاً ، أو قالته على وجه التأسف والتحزن ، والله أعلم» ، وانظر : لباب النقول ٢٣١ .

واختلفوا في قدر مدة انقطاع الوحي ، وهي أربعون ليلة على ما قال السُّدِّي ، وهو قول مقاتل[١] : «لم ينزل جبريل على النبي ﷺ بمكة أربعين يوماً»[٢] .

وقال الكلبي : «أبطأ جبريل خمس عشرة ليلة»[٣] .

وقال ابن جريج : «اثني عشر يوماً»[٤] .

واختلفوا أيضاً في سبب احتباس[٥] جبريل ، فذكر أكثر المفسرين[٦] : أن اليهود سألت رسول الله ﷺ عن الروح وذي القرنين ، وأصحاب الكهف ، فقال : سأخبركم ، ولم يقل إن شاء الله ، فاحتبس عنه الوحي . وهذه القصة ذكرناها قديماً[٧] .

---

(١) في (أ) : (فإن) ، وهو حرف زائد في الكلام لا يستقيم المعنى بإثباته .

(٢) تفسير مقاتل ٢٤٣أ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٠٦أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٢ .

(٣) التفسير الكبير ٣١/ ٢١١ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٩٢ ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢١١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٢ . قال محقق النكت والعيون : «وهذا من مراسيل ابن جريج» .

(٥) في (أ) : (احباس) .

(٦) حكاه عن أكثر المفسرين البغوي في معالم التنزيل ٤/ ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، والفخر الرازي في التفسير الكبير ٣١/ ٢١١ ، وانظر : بحر العلوم ٣/ ٤٨٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٣ .

(٧) في الآية ٨٥ من سورة الإسراء . قال ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٧١٠ معلقاً على ما ذكر من سورة الضحى : «كانت سبب نزول في إبطاء نزول الوحي على رسول الله ﷺ قال : ووقع في سيرة ابن إسحاق في سبب نزول (والضحى) شيء آخر ، فإنه ذكر أن المشركين سألوا النبي ﷺ عن ذي القرنين والروح وغير ذلك ووعدهم بالجواب ولم يستثنِ ، فأبطأ عليه جبريل اثنتي عشرة ليلة أو أكثر ، فضاق صدره ، وتكلم المشركون ، فنزل جبريل بسورة (والضحى) ، وبجواب ما سألوا ، وبقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ . انتهى ، وذكر سورة الضحى هنا بعيد ، لكن يجوز أن يكون الزمان في القصتين متقارباً ، فضم بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى ، وكل منهما لم يكن في ابتداء البعث ، وإنما كان بعد ذلك بمدة ، والله أعلم» .

وقال ابن زيد : «كان سبب ذلك كون جروٍ في بيته ، فلمّا نزل جبريل عاتبه رسول الله ﷺ : أما علمت أنَّا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة»[(١)] .

وقال جُنْدُب بن سفيان : «رمي النبي ﷺ بحجر في أصبعه ، فقال :

هلْ أنتِ إلَّا إصبعٌ دَمِيتِ وفي سبيلِ اللهِ ما لَقِيتِ

فأبطأ[(٢)] عنه الوحي حتى قالت له امرأة[(٣)] : ما أرى شيطانك إلَّا وقد تركك ، فأنزل الله هذه السورة»[(٤)] .

---

(١) ورد قوله في المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٣ ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢١١ ، وورد نحوه عن خولة خادم رسول الله ﷺ ٢٠/ ٩٣ ، والدر المنثور ٨/ ٥٤١ منسوباً إلى ابن أبي شيبة في مسنده ، والطبراني ، وابن مردويه . انظر : أسباب النزول ٣٩٣ عن خولة ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ ٢٤٩ ، ٦٣٦ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٣٨ : «رواه الطبراني ، وأم حفص لم أعرفها» ، وقال السيوطي في لباب النقول ٣٣٠ : «وأخرج الطبراني ، وابن أبي شيبة في مسنده والواحدي ، وغيرهم بسند فيه مَن لا يعرف ، عن حفص ، عن ميسرة ، عن أمه ، عن أمها خولة» ، وقال ابن عبدالبر في الاستيعاب ٤/ ١٨٣٤ ، رقم ٣٣٢٨ : «وليس إسناد حديثها في ذلك مما يحتج به» ، وانظر : حاشية المعجم الكبير ٢٤/ ٢٤٩ ، وقال ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٧١٠ في كتاب التفسير ، باب (١٠) : «وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة ، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب ، بل شاذ ، ومردود بما في الصحيح ، والله أعلم» .

(٢) في (أ) : (فأبطى) .

(٣) المرأة على قول ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٧١٠ ، ٧١١ هي أم جميل بنت حرب ، امرأة أبي لهب ، ثم قال : «والذي يظهر أن كلاً من أم جميل ، وخديجة قالت ذلك ، لكن أم جميل عبَّرت لكونها كافرة بلفظ شيطانك ، وخديجة عبَّرت لكونها مؤمنة بلفظ ربك ، أو صاحبك ، وقالت أم جميل شماتةً ، وخديجة توجعاً» .

(٤) سبق تخريجه ، وورد في الكشف والبيان ١٣/ ١٠٦أ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٢ ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢١١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٢١ . قال ابن كثير ٤/ ٥٥٨ : «وقوله هذا الكلام الذي اتُّفق أنه موزون ثابت في الصحيحين ، ولكن الغريب هاهنا جعله سبباً لتركه القيام ، ونزول هذه السورة» .

ومعنى : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ ؛ ما تركك ربك ، وما مقتك ، وما أبغضك . قاله عطاء[١] ، ومقاتل[٢] .

قال أبو عبيدة[٣] ، والمُبرِّد[٤] : «ودعك من التوديع كما ودع المفارق» .

وقال الزَّجَّاج : «أي لم يقطع الوحي ، ولا أبغضك»[٥] .

قال الفرَّاء : يريد وما قلاك[٦] ، فأُلقِيَت الكاف اكتفاء بالكاف الأُولى[٧] في (ودعك) ، ولأن[٨] رؤوس الآيات بالياء ، فأوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف[٩] .

والقلى : البغض ، يقال : قَلاه يقليه قِلاً ، ومقلياً ، إذا أبغضه[١٠] .

وقال ابن الأعرابي : «القَلْيُ والقِلَى ، والقَلاءة[١١] : المقلية»[١٢] .

---

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) تفسير مقاتل ٢٤٣ب .

(٣) ورد في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٢ ، وكلامه : (قال : ما ودعك من التوديع ، وما ودعك مخففة من وَدعت تَدَعُه) .

(٤) التفسير الكبير ٣١/ ٢١٠ .

(٥) ورد نحوه في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٩ .

(٦) في (أ) : (قلى) .

(٧) في (أ) : (الأول) .

(٨) في (أ) : (لأن) بغير واو .

(٩) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٧٣ ، ٢٧٤ بتصرف .

(١٠) نقلاً من تهذيب اللغة (قلا) ٩/ ٢٩٥ .

(١١) القَلاءُ : هكذا وردت في تهذيب اللغة (قلا) ٩/ ٢٩٥ ، وانظر : لسان العرب (قلا) ١٥/ ١٩٨ .

(١٢) تهذيب اللغة (قلا) ٩/ ٢٩٥ ، وهذا القول هو رواية ثعلب عن ابن الأعرابي .

٤. قوله (تعالى)[١] : ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ .

قال عطاء[٢] ، ومقاتل[٣] : «يريد والجنة[٤] خير لك من الدنيا» .

وقال علي بن عبدالله بن عباس : «أري رسول الله ﷺ ما يفتح على أُمته من بعده ، فسرَّه ذلك ، فأنزل الله : ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾»[٥] .

٥. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ . قال[٦] : «ألف قصر من لؤلؤ أبيض ، ترابه المسك ، وفيهن ما يصلح لهن»[٧] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٢) الوسيط ٤/ ٥٠٩ .

(٣) تفسير مقاتل ٢٤٣ب ، والوسيط ٤/ ٥٠٩ .

(٤) في (أ) : (الجنة) بغير واو .

(٥) رواه الطبري عن طريقه إلى ابن عباس في جامع البيان ٣٠/ ٢٣٢ ، وفي الكشف والبيان ١٣/ ١٠٧أ من طريق علي بن عبدالله بن عباس عن النبي ﷺ ، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٩٣ إلى ابن عباس ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٣٣٧ ح ١٠٦٥٠ عن علي بن عبدالله ، عن ابن عباس . قال محقق الكبير حمدي السلفي نقلاً عن مجمع الزوائد ٩/ ١٣٨ ، ١٣٩ ، عن إحدى الروايتين الواردة في الأوسط : «وفيه معاوية بن أبي العباس ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات ، وإسناد الكبير حسن» . قلت (أي حمدي) : «وأحد إسنادي الأوسط هو نفس إسناد الكبير» ، ورواه الحاكم من طريقه إلى ابن عباس في المستدرك في كتاب التفسير (سورة الضحى) ٢/ ٥٢٦ ، وقال : «حديث صحيح الإسناد» ، وقال الذهبي : «تفرَّد به عصام بن رواد عن أبيه وقد ضعف» ، وأورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٥ من طريقه إلى ابن عباس ، وقال ابن كثير : «ورواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من طريقه ، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، ومثل هذا ما يقال إلَّا عن توقيف» ، ورواه السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٥٤٢ عن ابن عباس ، ونسبه إلى البيهقي في الدلائل ٧/ ٦١ .

(٦) أي علي بن عبدالله بن عباس .

(٧) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢٣٢ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٠٧أ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٤ بمعناه ، والكشاف ٤/ ٢١٩ ، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٩٥ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٦ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٥٥٨ عن علي بن عبدالله عن أبيه ، والدر المنثور ٨/ ٥٤٢ عن ابن عباس منسوباً إلى ابن أبي حاتم ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، والطبراني ، والحاكم وصحَّحه ، وابن مردويه ، والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل . انظر : المستدرك للحاكم ٢/ ٥٢٦ ، قال : «صحيح» ، وضعَّفه الذهبي .

وقال مقاتل : «يعطيك ربك في الآخرة من الخير ، فترضى بما يُعطي»[١] .

وذكر آخرون أن هذا في الشفاعة ، وهو قول علي رضي الله عنه[٢] ، والحسن[٣] ، وعطاء ، عن ابن عباس[٤] ، قالوا : «هو الشفاعة في أُمته حتى يرضى» .

فيروى أنه ﷺ قال لمّا نزلت هذه الآية : «إذاً لا أرضى وواحد من أُمتي في النار»[٥] .

ثم ذكر منَّته عليه وأخبره عما كان عليه قبل الوحي ، فقال :

٦. ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾ . روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : «سألت الله مسألة ووددت[٦] أني لم أكن سألته ، ذكرت رسل ربي فقلت : سخَّرت لسليمان الريح ، وكلَّمت بعضهم . فقال تبارك وتعالى : ألم أجدك يتيماً فأويتك ، وضالاً فهديتك ، وعائلاً

(١) تفسير مقاتل ٢٤٣أ ، والوسيط ٤/ ٥٠٩ .

(٢) ورد في الكشف والبيان ١٣/ ١٠٧أ مرفوعاً ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٨ ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢١٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٥ مرفوعاً .

(٣) ورد في معالم التنزيل ٤/ ٤٩٨ ، وزاد المسير ٨/ ٢٦٨ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٥٥٩ ، والدر المنثور ٨/ ٥٤٣ منسوباً إلى ابن أبي حاتم ، وانظر : تفسير الحسن البصري ٢/ ٤٢٦ .

(٤) معالم التنزيل ٤/ ٤٩٨ ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢١٣ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٦ .

(٥) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢٣٢ من طريق السُّدِّي عن ابن عباس ، وذكرت مرفوعة في الكشف والبيان ١٣/ ١٠٧ب ، ١٠٨أ ، وانظر : التفسير الكبير ٣١/ ٢١٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٦ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٦ . وورد نحوه في الدر المنثور ٨/ ٥٤٢ عن ابن عباس منسوباً إلى الخطيب في تلخيص المتشابه من وجه آخر عن ابن عباس .

(٦) في (ع) : (ووجدت) .

فأغنيتك . فقلت : نعم ، فقال : ألم نشرح لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك ، قال : قلت نعم»[١] .

قال عطاء عن ابن عباس : «يريد فضمك إلى عمك أبي طالب حتى صرت رجلاً»[٢] .

وقال مقاتل : «ضمك إلى عمك ، وكفاك المؤنة»[٣] .

فقال[٤][٥] : «والمعنى ألم نجدك يتيماً صغيراً حين مات أبواك ، ولم يخلفا لك مالاً ، ولا مأوى ، فضمك إلى عمك حتى أحسن تربيتك»[٦] .

ثم ذكر نعمة أخرى ، فقال :

٧. ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ . قال ابن عباس (في رواية عطاء)[٧] : «ووجدك ضالاً عن النبوة فهداك بالنبوة إلى أرشد الأديان وأحبها إليه»[٨] .

---

(١) ورد في الكشف والبيان ١٣/ ١٠٨أ بمعناه ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٩ ، والدر المنثور ٨/ ٥٤٤ منسوباً إلى ابن أبي حاتم ، والطبراني ، والحاكم وصحَّحه ، وأبو نعيم ، والبيهقي كلاهما في الدلائل ، وابن مردويه ، وابن عساكر بمعناه ، وفتح القدير ٥/ ٤٦٠ ، وانظر : المستدرك في كتاب التفسير (سورة الضحى) ٢/ ٥٢٦ ، ووافقه الذهبي ، ورواه الطبراني في الكبير ١١/ ٤٥٥ ح ١٢٢٨٩ ، والأوسط ، وفيه عطاء بن السائب ، وقد اختلط . قاله الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب علامات النبوة ، باب عظم قدره ﷺ ٨/ ٢٥٤ . انظر : فردوس الأخبار للديلمي ٢/ ٤٣٨ ح ٣٢١٨ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٢٤٣ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٣ ، وزاد المسير ٨/ ٢٦٩ .

(٤) في (ع) : (وقال) .

(٥) أي الثعلبي .

(٦) انظر : الكشف والبيان ١٣/ ١٠٨أ باختصار يسير .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) ورد معنى قوله في التفسير الكبير ٣١/ ٢١٦ .

وقال الحسن[١] ، والضحاك[٢] ، (وشهر بن حوشب)[٣][٤] : «ووجدك ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة ، غافلًا عنها فهداك إليها . دليله قوله : ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف :٣] ، وقوله : ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى :٥٢]» .

وهذا مذهب أرباب الأصول ، وعلماء أصحابنا[٥] على أن رسول الله ﷺ ما كان كافراً قط[٦] .

---

(١) ورد في الكشف والبيان ١٣/ ١٠٩أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٩ ، وبمعناه في المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٤ ، وزاد المسير ٨/ ٢٦٩ منسوباً إلى الجمهور ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢١٦ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٢٤٦ .

(٢) ورد في المراجع السابقة عدا تفسير الحسن ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٦ .

(٣) الكشف والبيان ١٣/ ١٠٩أ ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٦ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ) .

(٥) يعني بهم جهابذة متكلمي عصره من الأشاعرة ، مثل شيخه أبي إسحاق الأسفراييني . انظر : الواحدي ومنهجه في التفسير لجودت المهدي ١٤٣ .

(٦) من أصحابه الذين قالوا بعصمتهم ـ صلوات الله عليهم ـ من الوقوع في الكفر :
الباقلاني ؛ إذ استدل على ذلك بأنه لم يذكر أهل التواريخ أنه كان مشركاً حين بعثه الله ، وإنما بعث من كان تقياً نقياً زاكياً أميناً مشهور النسب حسن التربية . انظر : المسامرة في شرح المسايرة ١/ ٨١ ، وتفسير القرطبي ٨/ ١٦ ، ٦٠ .
وأبو منصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادي ، وهو من علماء الأشاعرة ، قال : «أجمع أصحابنا على وجوب كون الأنبياء معصومين بعد النبوة عن الذنوب كلها ، وأمَّا السهو والخطأ فليس من الذنوب ، فلذلك ساغ عليهم . . . وأجازوا عليهم الذنوب قبل النبوة ، وتأولوا على ذلك كل ما حكي في القرآن من ذنوبهم . . .» . انظر : أصول الدين ١٦٧ ، ١٦٨ .
وقال السفاريني : «لم يكن النبي ﷺ على دين سوى الإسلام ، ولا كان على دين قومه قط ، بل وُلد النبي ﷺ مؤمناً صالحاً على ما كتبه الله وعلمه في حاله» . انظر : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية ٣٠٥ .
وقال القاضي عياض : «والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته ، والتشكك في شيء من ذلك ، وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ وُلدوا ، ونشأتهم على التوحيد والإيمان . . .» . انظر : الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٢/ ٧١٩ . =

واختار أبو إسحاق (أيضاً)[١] هذا القول ، فقال : «معناه أنه لم يكن يدري القرآن ، ولا الشرائع ، فهداه الله إلى القرآن وشرائع الإسلام»[٢] .

وذكرنا جملة من الكلام في هذا المعنى عند قوله : ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى :٥٢][٣] .

وجرى بعض المفسرين على ظاهر الآية ، فقال الكلبي : «﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ ؛ يعني كافراً في قوم ضلال فهداك للتوحيد»[٤] .

= وقال الحافظ بن رجب : «بل يستدل بحديث العرباض بن سارية على أنه ﷺ وُلد نبياً ، فإن نبوته وجبت له من حين أخذ الميثاق حيث استخرج من صُلب آدم حينئذ ، لكن كانت مدة خروجه إلى الدنيا متأخرة عن ذلك ، وذلك لا يمنع كونه نبياً قبل خروجه ، كمَن يُولَّى ولاية ، ويؤمر بالتصرف فيها زمن مستقبل ، فحكم الولاية ثابت له من حين ولايته ، وإن كان تصرفه متأخراً إلى حين مجيء الوقت» . انظر : لطائف المعارف ٨٣ ، ولوامع الأنوار ٣٠٦ .

وذهب إلى القول بالعصمة الألوسي في روح المعاني ٧/ ١٩٩ ، والإمام الشنقيطي في أضواء البيان ٢/ ٢٠١ . وللاستزادة في هذه المسألة ، انظر : منهج السفاريني في أصول الدين ٢/ ٣٥٧ وما بعدها ، إعداد رجاء بنت عبدالقادر الجويسر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف محمد السمهري .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٩ ، ٣٤٠ بنصه .

(٣) قال الإمام الواحدي في تفسيرها : «قوله تعالى : ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ قبل الوحي ، ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ اختلفوا في هذا مع إجماع أرباب الأصول على أنه لا يجوز على الرسل قبل الوحي أن لا يكونوا مؤمنين ، فذهب أكثر أهل العلم إلى أن المراد بالإيمان هاهنا شرائعه ومعالمه . وهي كلمة يجوز أن تسمى إيماناً» ، واختار إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة هذا القول ، وخصه بالصلاة محتجاً من باب حذف المضاف ، فجعل التقدير : ولا دعوة الإيمان ؛ لأنه كان قبل الوحي ما كان يقدر ما الكتاب ، ولا أفعال الإيمان ، يعني مَن الذي يؤمن ومَن الذي لا يؤمن . وجعل أبو العالية التقدير : ولا دعوة الإيمان ؛ لأنه كان قبل الوحي ما كان يقدر أن يدعو إلى الإيمان بالله ، وذهب بعض أهل المعاني إلى التخصيص بالوقت فقالوا : «المعنى : ولا ما الإيمان قبل البلوغ» .

(٤) ورد في الكشف والبيان ١٣/ ١٠٨ب ، وفي المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٤ بمعناه ، وزاد المسير ٨/ ٢٦٩ ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٧ بمعناه ، وفتح القدير ٥/ ٤٥٨ .

وقال السُّدِّي :«كان على أمر قومه أربعين سنة»[(١)] .

وقال مجاهد : «ووجدك ضالاً ؛ يعني عن الهدى ، فهداك لدينه»[(٢)] .

قال أصحابنا[(٣)] : «وهذا مما يستدرك بالسماع ، فأمَّا العقل فجائز في المعقول أن يكون الشخص كافراً فيرزقه الله الإيمان ، ويكرمه بالنبوة ، وجائز في العقل الخلع عن النبوة» .

---

(١) ورد بمعناه في المراجع السابقة ، وانظر : جامع البيان ٣٠/ ٢٣٢ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٤ ، وتفسير السُّدِّي ٤٧٨ .

(٢) ورد نحوه في التفسير الكبير ٣١/ ٢١٦ . قلت : وهذه الأقوال من المفسرين ممن أجروا معناها على ظاهر الآية من الفريق الذين يجوزون الكفر على الأنبياء في وقت من الأوقات قبل البعثة ، وقد أشار إلى مثل ذلك الإمام الطبري في جامع البيان ٥/ ٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ عند تفسيره قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ إلى آخر قوله : ﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام ٧٦ ، ٧٧] ، وأشار إلى ذلك أيضاً ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مجموع الفتاوى ١٠/ ٣١٠ بقوله : «والتائب من الكفر والذنوب قد يكون أفضل ممن لم يقع بالكفر والذنوب ، وإذا كان فالأفضل أحق بالنبوة ممن ليس مثله في الفضيلة» . انظر : منهج السفاريني في أصول الدين ٢/ ٣٥٩ .

(٣) وهو ما ذهب إليه القاضي أبو بكر الباقلاني ، وبيَّنه الكمال بن الهمام في شرحه للمسامرة . ومما جاء في هذه المسألة في المسامرة : قال ابن الهمام : «أمَّا موجب العقل ، فهو التجويز والتوبة ، فالعقل لا يمنع وقوعه ثم محو أثره بالتوبة قبل النبوة ، فإن قيل : تجويز وقوعه منهم ينافي ما يقتضيه شريف منصبهم من وجوب تصديقهم ، وتوقيرهم ، وعدم اتصافهم بما ينفر منهم ، وأي منفر أشد من الكفر ؟ وكيف يوثق بطهارة الباطن من أثره ؟ قلنا : قد أجاب القاضي عن ذلك بقوله : ثم إظهار المعجزة ؛ أي بعد وقوع التوبة عنه يدل على صدقهم ، وعلى طهارة سريرتهم ، أي نقاء قلوبهم من أدناس المعاصي ، فيجب لذلك توقيرهم ، ويندفع النفور عنهم» . انظر : المسامرة في شرح المسايرة في علم الكلام للكمال بن أبي شريف بن الهمام ١/ ٨١ ، ٨٢ .

٨. قوله : ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ . العائل الفقير ذو العَيلة ذكرنا ذلك عند قوله : ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾[(١)] [النساء :٣] . ويدل على أن المراد بالعائل الفقير ما روي أن في مصحف عبدالله : (ووجدك عديماً)[(٢)] .

قال مقاتل : «يعني فقيراً فأغناك الله»[(٣)] .

وقال عطاء : «كنت عيال أبي طالب ، فأغناك بخديجة»[(٤)] .

وقال الكلبي : «رضاك بما أعطاك من الرزق»[(٥)] .

وقد حصل في (أغناك) ثلاثة أقوال :

أحدهما : أغناك بالمال بعد الفقر ، وكذا كان حال رسول الله ﷺ كان فقيراً لا مال له حتى فتح الله عليه الفتوح ، وأعطاه المغانم .

والثاني : أغناك بخديجة عن مال أبي طالب ومسكنه .

---

(١) في (أ) : (تعلوا) هكذا وردت في كلتا النسختين ، وهو تصحيف .

(٢) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢٢٣ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٢٧٤ ، والدر المنثور ٨/ ٥٤٥ منسوباً إلى ابن الأنباري في المصاحف عن الأعمش ، وفي مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ١٧٥ ، وفيه (ووجدك غريماً) بدلاً من (عديماً) ، قلت : وهذه القراءة من باب التفسير ، وليست من القراءة القرآنية ؛ وذلك لشذوذها وضعفها ، والله أعلم .

(٣) تفسير مقاتل ٢٤٣أ ، وقد ورد عنه في البحر المحيط ٨/ ٤٨٦ : «(فأغنى) رضاك بما أعطاك من الرزق» .

(٤) ورد في زاد المسير ٨/ ٢٠٧ منسوباً إلى جمهور المفسرين ، وورد من غير نسبة في الكشف والبيان ١٣/ ١١١أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٩ ، وفتح القدير ٥/ ٤٥٨ .

(٥) ورد في زاد المسير ٨/ ٢٧٠ ، وفتح القدير ٥/ ٤٥٨ ، وورد نحوه عن مقاتل . انظر : الكشف والبيان ١٣/ ١١١أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٩ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٩ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٦ .

والثالث : أرضاك وقنعك .

قال الفرَّاء : «لم يكن غنى[١] عن كثرة ، ولكن الله رضَّاه بما أتاه[٢] ، وذلك حقيقة الغنى»[٣] .

ثم أوصاه باليتامى ، والفقراء فقال :

٩. ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ . قال ابن عباس : «هذا أدب من الله لنبيه وللمؤمنين»[٤] .

وقال مجاهد[٥] ، ومقاتل[٦] : «لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيماً» .

وقال الفرَّاء[٧] ، والزَّجَّاج[٨] : «لا تقهره على ماله ، فتذهب بحقه لضعفه ، وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامى تأخذ أموالهم ، ويظلمونهم حقهم ، فغلظ الله -تعالى- الخطاب لنبيه ﷺ في اليتيم ، وكذلك[٩] مَن لا ناصر له يغلظ في أمره ، وهو نهي لجميع المكلفين» .

---

(١) في (أ) : (غناء) .

(٢) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٧٤ بنصه .

(٣) في (أ) : (المعنى) .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) ورد بمعناه في جامع البيان ٣٠/ ٢٣٣ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٥ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٠ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٠٠ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٦ ، وفتح القدير ٥/ ٤٥٨ .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) معاني القرآن ٣/ ٢٧٤ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٠ .

(٩) في (أ) : (فكذلك) .

١٠. (وقوله)[١] : ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[٢] . قال المفسرون : «(يريد)[٣] والسائل على الباب . يقول : لا تنهره إذا سألك ، فقد كنت فقيراً ، فإمَّا أن تطعمه ، وإمَّا أن ترده رداً ليناً» ، وهذا قول الكلبي[٤] ، ومقاتل[٥] ، (والفرَّاء[٦])[٧] ، والزَّجَّاج[٨] ، ونحو هذا قال قتادة في هذه الآية : «لرد السائل برحمة ولين»[٩] .

يقال : نهره وانتهره ، إذا استقبله بكلامه تزجره به[١٠] .

قال أهل المعاني : «وهو إيساع الأغلاط بالصياح في الوجه»[١١] .

وقد ذكرنا أن أصل تصير[١٢] هذه[١٣] الكلمة للسعة[١٤] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ع) .
(٢) في (أ) : (تقهر) .
(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٤) ورد في معالم التنزيل ٤/ ٥٠٠ منسوباً إلى المفسرين .
(٥) ورد بمعناه في تفسير مقاتل ٢٤٣ب .
(٦) معاني القرآن ٣/ ٢٧٥ .
(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٠ .
(٩) ورد في النكت والعيون ٦/ ٢٩٥ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٩ ، والدر المنثور ٨/ ٥٤٥ منسوباً إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وفتح القدير ٥/ ٤٥٩ .
(١٠) انظر : تهذيب اللغة (نهر) ٦/ ٢٧٨ ، ولسان العرب (نهر) ٥/ ٢٣٩ .
(١١) لم أعثر على مصدر لقولهم .
(١٢) (تصد) في كلتا النسختين .
(١٣) في (أ) : (هذا) .
(١٤) نهر نَهِر : واسع . انظر : تهذيب اللغة (نهر) ٦/ ٢٧٧ ، وجاء في مقاييس اللغة (نهر) ٥/ ٣٦٢ : «أصل صحيح يدل على تفتح شيء ، أو فتحه» .

وروي عن الحسن في هذه الآية[١] فقال : «أمَّا إنه ليس بالسائل الذي يأتيك ؛ لكن طالب العلم»[٢] . (وهو قول يحيى بن آدم[٣] ، قال : «إذا جاءك طالب العلم)[٤] فلا تنهره»[٥] .

وعلى هذا ، السائل هاهنا الذي يسأل عن علم ليتعلمه .

١١ . قوله : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ . قال مجاهد : «بالقرآن»[٦] .

وقال الكلبي : «يعني فأظهرها ، وكان القرآن أعظم ما أنعم الله به عليه ، فأمره أن يقريه»[٧] .

قال الفرَّاء : «كان [يقرؤه و][٨] يحدث به ، وبغيره من نعم الله»[٩] . فعلى هذه ، النعمة هي القرآن ، والتحديث[١٠] به أن يقرأه ، ويقُرئ غيره .

---

(١) بياض في (ع) .

(٢) ورد في الكشف والبيان ١٣/ ١١٢أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٠ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٥ ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢٢٠ بمعناه ، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٧ بمعناه .

(٣) تقدَّمت ترجمته في سورة التوبة .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) الكشف والبيان ١٣/ ١١٢ب ، وزاد المسير ٨/ ٢٧٠ .

(٦) المرجعان السابقان ، وانظر : معالم التنزيل ٤/ ٥٠٠ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٥ ، والتفسير الكبير ٣١/ ٢٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٠٢ ، وفتح القدير ٥/ ٥٤٩ ، وورد في الدر المنثور ٨/ ٥٤٥ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٧) ورد معنى قوله في الكشف والبيان ١٣/ ١١٢ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٠ ، وفتح القدير ٥/ ٤٥٩ .

(٨) (يقريه) هكذا وردت في كلتا النسختين ، وكذلك بغير واو عاطفة ، وأثبت ما جاء في مصدر القول لاستقامة الكلام به وصحته .

(٩) معاني القرآن ٣/ ٢٧٥ .

(١٠) في (أ) : (التحدث) .

وروى (أبو بشر)[١] عن مجاهد، قال: «بالنبوة التي أعطاك ربك، وهي أصل النعم»[٢].

واختار الزَّجَّاج فقال: «أي بلِّغ ما أُرسلت به، وحدِّث بالنبوة التي أتاك، وهي (أجل[٣]) النعم»[٤].

وقال مقاتل: «يعني اشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة: من الهدى بعد الضلال، وجبر اليتيم، والإغناء بعد العيلة، فاشكر هذه النعم»[٥].

يدل على صحة هذا ما روي في الحديث أن النبي ﷺ قال: «والتحدث بنعم الله شكر»[٦].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٢) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٣٣٣، والكشف والبيان ١٣/ ١١٢ب، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٠، وزاد المسير ٨/ ٢٧٠، والتفسير الكبير ٣١/ ٢٢١، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٠٢، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٦٠، وفتح القدير ٥/ ٤٥٩، والدر المنثور ٨/ ٥٤٥ منسوباً إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٣) (أصل): في كلتا النسختين، وأثبت ما جاء في مصدر القول.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٠.

(٥) ورد معنى قوله في تفسير مقاتل ٢٤٣ب، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٠، وزاد المسير ٨/ ٢٧٠، وفتح القدير ٥/ ٤٥٩.

(٦) وردت الرواية عن النعمان بن بشير، قال: قال النبي ﷺ على المنبر: «مَن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومَن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب»، وقد رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٧٨، ٣٧٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، باب لزوم الجماعة، وطاعة الأئمة، والنهي عن قتالهم ٥/ ٢١٧، ٢١٨: «ورواه عبدالله بن أحمد، والبزار، والطبراني، ورجالهم ثقات»، وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٩: «وإسناده ضعيف...»، وقال السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٥٤٥: «أخرج عبدالله بن أحمد في زوائد المسند، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٥١٦ ح ٩١١٩ بسند ضعيف عن أنس بن بشير»، وورد في الكشف والبيان ١٣/ ١١٢/ ب، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٥، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٨، وورد في الكشف والبيان ١٣/ ١١٢ب، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٩٥، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٨.

وروي عن الحســـن[١] بن علي في هذه الآية قـــال : «إذا أصبت خيراً فحدِّث إخوان ثقتك»[٢] .

* * *

(١) في (ع) : (الحسين) .

(٢) ورد معنـــى قوله في النكت والعيـــون ٦/ ٢٩٥ ، والجامع لأحكام القـــرآن ٢٠/ ١٠٢ ، والدر المنثور ٨/ ٥٤٥ منسوباً إلى ابن أبي حاتم ، وجميعها عن الحسن بن علي .